مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية | المجلد07 / العــدد: 03(2023)، ص158 - 184

تيديـس البد المقــدس

ومراحل تطورفكره الديني الوثني

Tiddis, the sacred city

And the stages of the development of his pagan religious idea

زينب بلعابد *

جامعة قسنطينة 2- عبد الحميد مهري-

Zineb.belabed@univ-constantine

تاريخ الاستلام: 2023/02/02 تاريخ القبول: 2023/02/26

• الملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية، المراحل التطويرية للفكر الديني الوثني بتيديس البلد المقدس، هذا الأخير الذي يعتبر من أهم القرى التي لعبت دورا مهما في تحصين العاصمة النوميدية "كرتن" من الناحية الغربية. حيث شاهد هذا البلد العديد من التطورات في فكره الديني منذ فجر التاريخ، فترة استقرار الانسان على هذه الأرض المقدسة إلى غاية فترة محل الدراسة، ونلاحظ ذلك من خلال طقوسه الجنائزية التي توحي بإيمانه الراسخ بالعالم الأبدي، وكذا اهتمامه بالطقوس النذرية سواء في تقديم القرابين للآلهة أو تنظيم الاحتفالات على شرفها، إلا أن الشيء الملاحظ أن هذا المجتمع تمسك بجوهر العبادات المحلية والحفاظ على خصائصها تحت أسماء لحضارات دخيلة، وهذا ما يبن تمسكه بهويته المحلية أمام مختلف التأثيرات الحضارية.

كلمات مفتاحية: تيديس، بازينة ، ساتورن، الدين ، القرابين، العالم الأبدي.

Abstract:

This document, a study of the stages of evolution of pagan religious thought on the holy lands of Tiddis, is one of the most important villages to play an important role in protecting the capital of Numedia, Cirta, in Western terms. The country has witnessed many developments in its religious ideology from the dawn of history until the period of human stability on this Holy Land until the period in question, and we see this through funeral rituals that demonstrate its firm belief in the eternal world. They were interested in offering offerings, both to the gods and to hold ceremonies in their honor that this community adheres to the essence of local worship and preserves its characteristics under the names of other civilizations. Demonstrates commitment to local identity in the face of diverse cultural influences.

Keywords:

Tiddis, Bazina, Saturn, Religion, Sacrifice, Eternal World.

* زينب بلعابد

- **مقدمة:**

يشمل موضوع الدراسة عنصر من عناصر حياة الانسان الأساسية، ألا وهو الدين، هذه الظاهرة الاجتماعية التي ظهرت بظهور الانسان على سطح الأرض، والتي عكست نوع العلاقة التي تربطه بمختلف الظواهر الكونية، ولقد مرس الدين من قبل جل المجتمعات بمختلف أطيفها.

كذلك هو المجتمع التيديسي الذي مارس اعتقاداته الدينية داخل قرية محصنة تحيط بمدينة كرتن النوميدية، وتحميها من الناحية الشمالية الغربية حيث تبعد عنها بحوالي 24 كلم.

ولعل اختيار الانسان لهذا الموقع ليكون مجال استقراره، لانفراده عن غيره بخصوصية موقعه، الذي يرتفع عن سطح البحر بحوالي 574.90 م ولاحتوائه على مغارات وكهوف طبيعة وأماكن عالية أضفى عليه القدسية التي انعكست على تفكيره الديني.

و نظرا لأهمية الموضوع و قلة الدراسات حوله، أردنا التركيز على معرفة أهم المراحل التطورية للفكر الديني العقائدي الوثني بتيديس محاولين الوقوف على سر استمرارية العقائد اللوبية المحلية رغم مختلف التأثيرات الأجنبية؟

و حتى نتمكن من انجاز هذه الورقة البحثية، كان علينا الاعتماد على الدراسات التي سبقتنا و التي وجدناها قليلة و متعلقة أساسا بتقارير التنقيبات الاثرية التي تنقصها العديد من المعطيات العلمية، و كانت من بينها كتابات السيد " أندري نرتيي A. Berthier" الذي كان له الفضل في اخراج المدينة من تحت ركامها، حيث أنجز كتابه الأخير الذي جمع فيه كل التقارير الاثرية الخاصة بموقع تيديس و أطلق عليه: " Tiddid cité antique de la numidie" إلى جانب كتابات الباحث قبريال كامبس " G. Camps "

حول ما خلفته المنطقة في الجانب الديني، لاسيما كتابة " Aux origines de la berbère , monuments et rites funéraires protohistoire de l'Afrique du Nord و كذا مقاله حول " Céramique des sépultures berbères de Tiddis" ، هذا و لا ننسى ما قدمه الباحث " موريس لوغلي" M.Leglay " في هذا الجانب، خاصة في دراسته القيمة التي انفرد بها حول " Saturne Africain Monuments (T. I. et II) ; Histoire (T. III) ، بالإضافة إلى دراسات أخرى، التي غالبا ما تكون غير دقيقة، سرد للوقائع فقط، بعيدة عن التحليل و المقارنة، إلا أن اهم عقبة لهذا النوع من الدراسة يتمثل في انعدام الاساطير الدينية المحلية.

و رغم هذه العوائق، إلا انها كانت دافعا لنا للتطرق إلى مثل هذه المواضيع، معتمدين على المنهج الوصفي التحليلي و المنهج المقارن لتقديم لمحة عن التفكير الديني الوثني بتيديس من خلال بوادره الأولى و الملامح العامة للعالم الاخر و عالم الآلهة التي كانت تعبد في المنطقة.

1.لمحة عن مدينة تيديس:

وجدنا من الضروري قبل التطرق إلى موضوع الدراسة ان نعطي لحمة عن مدينة تيديس من حيث الموقع والتسمية وطريقة اكتشافها، فنبدأ:

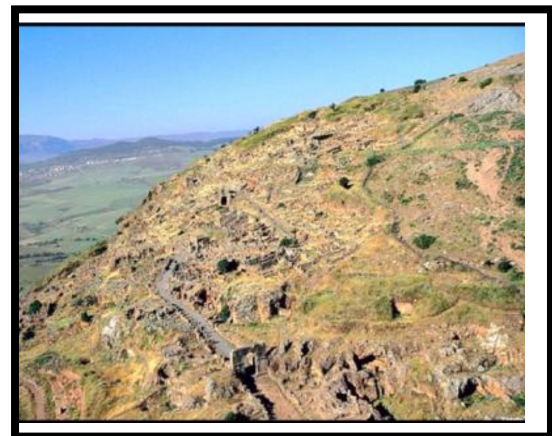
1.1.الموقع الجغرافي:

تقع مدينة تيديس بالشرق الجزائري بالقرب من مدينة قسنطينة، التي تبعد عنها بحوالي 23كلم باتجاه شمالها الغربي، بنيت فوق هضبة يصل ارتفاعها حوالي 574.90**م** فوق سطح البحر، تسمى "**بكاف أم حديدان**" والتي تطل على الضفة اليمنى لوادي الرمال، كما تحف بها العوائق والانحدارات الشديدة من كل الجهات، حيث يبدو بأن أهم عامل حدد هذا الموضع هو سهولة الدفاع عنه بالإضافة إلى توفر المياه الضرورية للشرب والأراضي الصالحة للزراعة، وهذه المزايا جمعها تشجع على الاستقرار والإقامة (أنظر الصورة رقم 1)

يحد مدينة تيديس من الجهة الشمالية كل من مشتى بني حميدان والصفصافة، ومن الجهة الجنوبية مشتى الخنق أين يتجلى لنا جبل شطابة، ومن الجهة الجنوبية الشرقية مشتى عين الكرمة، ومن الجهة الشرقية عين هارون، ومن الغرب يحدها الخنق أين يتقاطع واد الرمال مع بعض الهضاب.(أنظر الخريطة رقم 1)

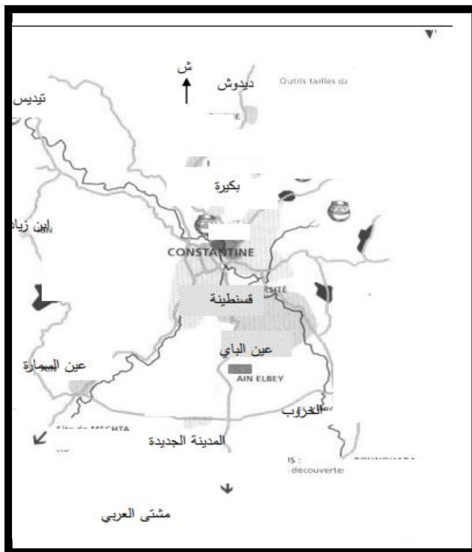
2.1..التسمية :

لقد أطلق على مدينة تيديس العديد من التسميات عبر تاريخها الطويل كاسم "**الخنق**" (Khereg) و الذي يعني الممر الضيق أو الشعبة ، وقد أطلق من طرف الأهالي نسبة إلى منحدر وعر يقع خلف الهضبة التي أقيمت فوقها المدينة في جهتها الجنوبية الشرقية، والخنق يعد من أهم المنخفضات العميقة الناتجة عن تقاطع وادي الرمال مع مجموعة من التلال القريبة من الآثار، وقد شاع هذا الاسم ا في الضواحي المجاورة لمدة طويلة من الزمن حتى أن الباحثين الفرنسيين، كانوا يذكرونه في تقاريرهم للإشارة إلى المدينة القديمة، ولا يزال إلى يومنا هذا متداولا في أوساط أهالي المنطقة[1].



الصورة رقم 1

تمثل هضبة التي بنيت عليها مدينة تيديس



الخريطة رقم 1

تمثل حدود مدينة تيديس

اعتمادا على: غنية بوغرة ،الموقع الأثري تيديس...، ص.127.

1- غنية، بوقرة، 2015، الموقع الأثري تيديس قطب حضاري بسيرتا القديمة دراسات، المجلد 6، العدد، 3، جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهر، ، ص ص.(126-127)

كذلك عرفت تيديس "بقسنطينة القديمة" ولعل يعود ذلك للتشابه المثير للدهشة بين الموقعين، حيث بينت كل منهما فوق صخرة عالية يحيط بها وادي الرمال، مما يعطيها مظهر القلعة المشيدة فوق أكربول، كما أنه يمكن رؤية مدينة قسنطينة وصخرتها بالعين المجردة من أعالي قمة هضبة تيديس، وكل هذه عوامل و غيرها جعلت سكان المحليين يطلقون على تيديس تلك التسمية.

أما عن أصل تسمية تيديس، أكد الباحث "أ. بارتيي "A. Berthier" وغيره من الباحثين، أنه الاسم الحقيقي للمدينة[1]، أما عن معناه فقد ربطه الباحث "ر.باسي" (R.Basset) بالأصول اللوبية المحلية، و بالضبط بالكلمة "تيدرث"، التي تعني "دار" أو "منزل" والذي ينطبق على قمة هضبة تيديس التي عرفت "برأس الدار"، وهي تسمية أطلقها السكان المحليين على القمة الحالية المجاورة لمراكزهم السكنية[2]. كما شاهدت مدينة تيديس أيضا العديد من الألقاب أشهرها:

– **مدينة الأقداس:** لقبت المدينة بهذا الاسم لما عرفته من ديانات ومعتقدات مختلفة كالوثنية والمسيحية والإسلام، وهذا ما فسر وجود الكثير من الكهوف التي كانت أماكن للعبادة.

– **مدينة الحرفيين:** كانت المدينة تحتوي حرفيين مختصين في جميع الصناعات، كصناعة الحلي وأدوات الزينة والتجميل ونحت الأدوات الصخرية واستغلال المعادن من النحاس والفضة وكذلك العظم والفخار.

3.1–اكتشاف المدينة الأثرية تيديس:

لم يكن سهلا العثور على المعالم الاثرية لتيديس، حيث كانت تختفي تحت ركام هضبة وصل ارتفاعها عدة أمتار. ولم يتوقع أن تكون مدينة أثرية. كما أن أرضية " الكاردو"، كانت في السابق ممرا يؤدي إلى رأس الجبل، استعمله الرعاة لرعي قطعانهم في ذلك الموقع المرتفع[3].

وعلما بأن المناطق المحيطة بسيرتا كانت مغطاة بالآثار الرومانية الموجودة بشكل عام في قلب الجبل. كما أن موقع تيديس يزخر بالعديد من القطع الفخارية، فأثار اهتمام الباحثين الذين حاولوا في عدة مرات العثور على ما اختفى تحت الركام[4].

إلا أن محاولات أعضاء الجمعية الأثرية لمقاطعة قسنطينة، لاكتشاف الموقع، أدى بهم للعثور على العديد من النقوش التي تم نشرها عام 1853 بمجلتهم. والتي بفضلها تم التعرف على الاسم المجهول للموقع المعروف بريسبوبليكا تيديتاروم " Respublica Tidditaroum "[5].

و الشيء الملفت للانتباه أنه بعد عام من ذلك الاكتشاف، قام رئيس بلدية قسنطينة " ج. مارشون" "J.Marchant" بزيارة المدينة، والرغم الصعوبة التي واجهته، إلا أنه استطاع الوصول إلى الموقع، و قام بنسخ عدد من النقوش الجنائزية، كما أشار إلى عدة أعمدة مختلفة الأنواع و التيجان الكورنثية، و بقايا معمارية موجودة على الهضبة الشمالية من المدينة[6].

وحتى يتم إزالة الغموض على تيديس، تم اكتشاف العديد من البقايا الأثرية المتعلقة خاصة بالنقوش و كذا القبور الدولمنية، بقايا أسوار محاطة بالمدينة، كذلك خوابي و بقايا مقابض و أواني زجاجية[7].

هذا ولا ننسى الزيارة التي قام بها الباحث " س. أجزيل"St. Gsell " مع كل من " قوستاف مرسيي" Gustave Mercier " و ش. فار Ch. Vars [8] إلا أن الشيء الذي أثار اهتمامه هو قبور الدولمان والرسوم الصخرية المتواجدة على حواف هضبة تيديس.

[1] -A. Berthier. 1971,Tiddis. Dans Archéologia, n° : 42 , p.9.
[2] -R.Basset, 1887, Notes de lexicographie berbère, dans J.A. (novembre décembre), p.330
[3] -A.Berthier, 2000,Tiddis cité antique de Numidie, Mémoires de l'Académie de inscriptions et Belles- Lettres . T.XX, Diffusion de Baccard, Paris, p.9
[4] -Ibid., p. 11.
[5] -Connel Creully ,1853, Deux villes Numide- Romaines, dans RSAC , T.I, , pp.(84-90).
[6] - J. Marchand, 1954-55, Inscriptions Latines trouvées en Khenge, dans RSAC, T.II, p.129.
[7] -A. Berthier, op-cit., 23.
[8] -Ch. Vars, 1898, Inscriptions inédites de province de Constantine pour les années 1897 et 1898, RSAC, T.32., pp.(357-359)

بعد هذه الاكتشافات وغيرها تم نسيان المدينة على ما يقارب أربعين عاما الأولى من القرن العشرين، ولعل السبب في عدم انجاز الحفريات أو حتى المسح الجاد الناتج عن عزلة الموقــع و عدم توفر الطرقات المؤدية إليه لصعوبة التضاريس[1].

كما أنه في سنة 1935، تم التقاط صور جوية للموقع الأثري، كانت عبارة عن رسم خطوط، تبين تطورا للأسوار، وظهر على جزء الشرقي الكامل من الهضبة انتفاخات توحي بوجود أبنية مدفونة. وبهذا بدأ حلم استخراج معالم المدينة.

ولقد تحقق ذلك الحلم في أوت 1940، عندما أتصل "المحافظ ماكس بونافوس"" Max Bonnafous "، الذي طلب من السيد " أ. برتيي" A. Berthier " بتقديم مشروع لفتح موقع أثري حول مدينة قسنطينة بحكم كونه " مدير متحف قوستاف مرسيي "Gustave Mercier " و الدائرة الأثرية. والذي أكده الجنيرال " بوسابرت Mousabert". وفي نهاية عام 1940 وبالقرب من الخنق، ثم انشاء معسكر أطلق عليه اسم " Camp Max Bonnafous "، غير أنه تم المبدأ في حفر الفأس الأول في 7 جانفي 1941 في منتصف الطريق على المنحدر الشرقي للجبل، و قد دامت هذه الحفريات أكثر من 30 سنة[2]، التي تم من خلالها إحياء المدينة القديمــــــة و تحقيق الحلم.

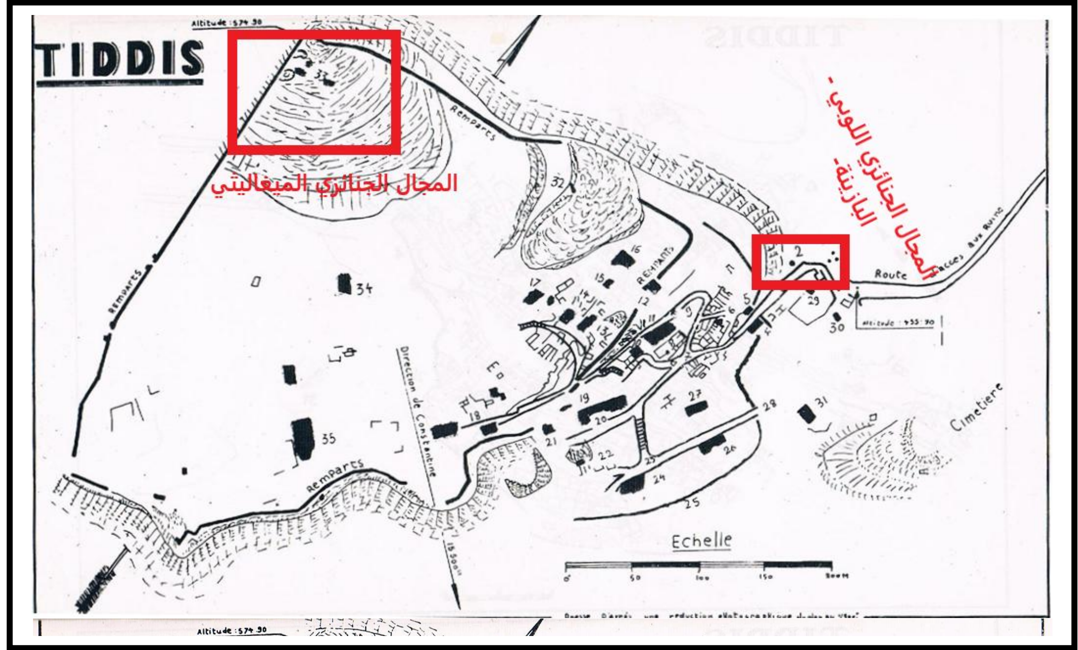
بعد هذا التعريف الوجيز لميدينة تيديس ، سنحاول في العناصر اللاحقة معرفة مدى تطور الفكر الديني لهذه المدينة التي أطلق عليها كما سبق أن ذكرنا مدينة الأقداس.

2. البوادر الأولى للفكر الديني بتيديس:

اعتمادا على المعطيات الاثرية التي خلفتها البدايات الأولى للاستقرار الانسان بهذا المجال الجغرافي، تبين أنها حفظت على البوادر الأولى لفكرها الديني و ذلك عندما خصصت مجالا محددا لإنشاء مقبرة ميغاليثية وفقا لمعايير دقيقة و اعتقادات دينية، حيث استغلوا أعلى قمة بتيديس، أين بنوا قبورهم على سفح الغربي من الهضبة، و على الحافة العليا من منحدر المقابل للناحية الغربية، كما ثم العثور على العديد من القبور المتناثرة على المنحدر الشمالي من الهضبة.[3] (أنظر الشكل رقم 1)

اذن فقد تم اختيار أعلى قمة بعيدة عن مساكنهم لتكون المجال المقدس لهؤلاء السكان، وذلك حتى يؤمنوا أنفسهم من أرواح موتاهم، كما ساعدهم ذلك الموقع في مراقبتها حتى لا تلحق الضرر بهم.[4]لعل اهتمام الفرد التيديسي بموتاه، نابع من الاعتقاد بتقديس الموت وإيمانه الراسخ بضرورة دفن موتاه داخل قبور حتى لا تتعذب أرواحهم وتتحول إلى قوة شيطانية تقلق راحة الأحياء.[5]

[1] -A. Berthier, op-cit., p.26.
[2] - Ibid., p. 26.
[3] -A.Berthier,2000,Tiddis Cite antique de Numidie, Paris, p.405.
[4]- G.Emli et J.P.Vernant,1982 La mort, des morts dans les sociétés anciennes, Mason des sciences de l’homme,Paris,p.203-205.
[5]- E.O.James,1960,Mythes et rites dans le proche-Orient anciens, trad.Rene Jouan,Paris,p 210-211.



الشكل رقم 1

يمثل مخطط للمجال المقدس بتيديس

اعتمادا على: A. Berthier, Tiddis cité antique…, p. 38

وعادة ما يتكون القبر من الجزئيين، قسم تحت سطح الأرض تدفن بداخله الجثة، والذي بدأ بحفرة صغيرة ثم تطور إلى عدة غرف محفورة في الصخر أو مبنية بالحجارة.[1] أما الجزء الثاني من القبر، فوق الأرض الذي يدل على مكان الدفن الجثة سواء كان بسيطا عبارة عن كومة من التراب أو بلاطة من الحجر إلى صرح مبني من عدة الطوابق.[2]

واعتمادا على المعطيات الأثرية، فقد تبين أن الانسان بتيديس أختار نوعين من القبور الميغاليثية، لتكون منزل الراحة لموتاه، فكانت على هيئة قبور دولمينية محفورة في أسفل الأرض لوضع الجثة ومدعمة بلاطين أو أكثر من الجانبين ومغطاة ببلاطة حجرية أخرى، وقد تميزت بصغرها وذات غرف جنائزية واحدة إلا قبرا واحدا فقط ظهر بغرفتين جنائزيتين.[3]

---

[1] خزعل الماجدي،2001، المعتقدات الكنعانية، ط1، دار الشرق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص.195.

[2] - رشيد الناظوري، 1960، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا، ج1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص ص (229-228).

[3] - زينب بلعابد، 2015-2016، الملامح الجنائزية والنذرية للبونيين و النوميديين في المملكة النوميدية (دراسة تحليلية من خلال المعالم اللقى الأثرية)، أطروحة لنيل شهادة الدكتورة العلوم في التاريخ القديم، جامعة قسنطينة 2-عبد الحميد مهري-،ص. 200.

كما اختار نوع آخر من القبور يعرف بالبازينة، و التي كانت منتشرة بكثرة، و لعلها أكثر القبور الميغاليثية عددا، و هي عبارة عن حفر تحت الأرض يبنى فوقها صفوف من الحجارة بشكل دائري و كانت معظمها صغيرة الحجم، و وصل عدد القبور الميغاليثة في المنحدر الشمالي إلى ما يزيد عن خمسين قبر بين البزينة و الدولمان.(أنظر الصورة رقم 2)



الصورة رقم 2

تمثل قبر دولميني أكتشف في مدينة تيديس

إن المتمعن في المجال المقدس للقبور الدولمينية المنتشرة في الجزء الشمالي الغربي من هضبة تيديس ، يلاحظ وجود ساحة واسعة على مشارفها و يتوسطها قبر دولميني ضخم في أعلى قمة. و الملاحظ أن هذه الساحة تصلح لأن تكون مجال لتنظيم حفل طقوسي له علاقة بالناحية الجنائزية، حيث ينتقل إليه المتفرجين للجلوس على الحواف،[1] إذا قارن ذلك بمعطيات أثرية سجلها الباحث " ج. كامبس" G. Camps «و المتمثلة في وجود أشكال دائرية تحيط بالقبور الميغاليثة ، و بالقرب منها وجود طبقات رمادية توحي بإقامة طقوس جنائزية .[2]

وما يجعلنا متمسكين بفرضية وجود احتفالات تقام على شرف المتوفيين في قمة هضبة تيديس، إذا قارنهاأيضا بطقوس كانت تحدث إلى وقت قريب بمدينة قسنطينة التي تعود جذورها إلى أزمنة غابرة ، و بالضبط في قمة سيدي مسيد، أين كان سكان المدينة يحتفلون في كل بدية شهر سبتمبر بعيد يعرف " عيد النسور"، إذ ينتقل إلى قمة الجبل موكب من الطلبة يقرعون الطبول و بحوزتهم حيوانات التضحية التي يتم ذبحها و حرقها على حافة الوادي، و قد اعتبرت كمحرقة للطيور الجارحة أو النسور.[3]

وإذا أخذنا بعين الاعتبار هذا الطقس الجنائزي المستمد جذوره من فترة فجر التاريخ يعود إلى أصحاب القبور الميغاليثية، نستطيع أن نتسأل هل قلد سكان تيديس في تلك الفترة ما كان يحصل في سيدي مسيد؟ واحتفلوا بعيد النسور هم أيضا؟ قدموا قرابين

-1 A. Berthier, op-cit., p. 406.
-2 G. Camps,1961, Aux origines de la berbère, Monuments et rites funéraires protohistoriques de l’Afrique du Nord, arts métiers graphiques, A.M.G., Paris, p.542
-3 A. Berthier, op-cit., p.407.

على شرف سيد السفح الذي مثل بقبر دولميني كبير الحجم في أعلى قمة؟ حيث كان ينتقل السكان إلى المجال المقدس لتقديم تلك القرابين التي يتم حرقها و رمييها للنسور، غير أنه لانعدام ما يؤكد ذلك تبقى مقاربة أو فرضية فقط.

2- بروز الملامح عامة للعالم الآخر بتيديس:

إن الاكتشاف الذي حصل في الناحية الشرقية من منحدر المؤدي إلى مدخل المدينة و المتمثل في مجموعة قبور اللوبية محلية شملت سبع قبور من نوع البازينة و الدوائر الجنائزية و القبور الجوفية، و كذا ذات الشكل المستطيل، قد أبرزت لنا الملامح العامة للجانب العقائدي الجنائزي و وضحت مدى تطور التفكير الديني للوبيين المتعلق بالعالم الآخر، عالم الأموات.(أنظر الصورة رقم 3 و 4)

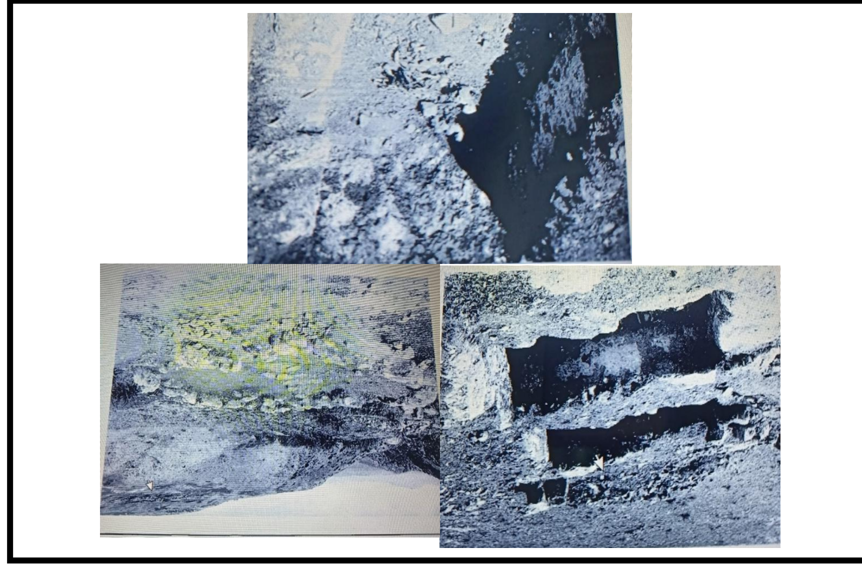
إن دراسة تلك المعطيات برزت لنا خصوصية المجتمع التيديسي في التمسك بعاداته و تقاليده التي ورثها عن أجداده أصحاب القبور الميغاليثية، حيث رغم تطور القبور و انتشار استعمالها، بقي محافظا على الدفن في قبر البازينة ، بعدما أدخل عليها بعض التطور، سواء في الحجم، حيث كانت في البداية صغيرة تستعمل للدفن الفردي، أصبح طول دائرتها يصل إلى 7 م، و خصصت للدفن الجماعي. كما أدخل تطور في تقنية البناء، حيث استعملوا الحجارة المشذبة، التي بنيت بثلاث صفوف يتراوح قياسها ما بين 3,30 م إلى 7 م، والقاعدة محاطة بمجموعة من البلاطات، حيث يصل قياس الواحدة منها 1,40 م، و قد احتوت على غرفة جنائزية في مركز القبر مشكلة من حلقة دائرية بأربعة صفوف من جهة الشمال. أما جهة الجنوب فكانت تحيط بها حجارة فقط طول دائرتها 7 م، هذا بالنسبة للبزينة الكبرى.[1] و من خلال الاهتمام بتطور القبر يجعلنا نفكر في مدى قدسية روح الميت و انتقالها إلى عالم الآخر. وما أثار حفيظة الباحث ما قدمته تلك الأنواع من القبور من معلومات عن العالم الآخر، أو عالم الأموات حيث كشفت لنا:



الصورة رقم 3

تمثل قبر البازينة

[1] G. Camps et H. Fabrer, 1963, La nécropole mégalithique de Djebel Mazela Bou-Nouara, III, CRAPE, .n XII, P.45.



الصورة رقم 4

تمثل قبور مستطيلة و قبور جوفية و دوائر الجنائزية

1.2– طرق الدفن بالقبور اللوبية:

لقد فضل مجتمع التيديس الحفاظ على الدفن الجماعي عن الفردي الذي ظهر في فجر التاريخ ، و أعتمد على الدفن المؤقت أو الثانوي، كما بينته الاكتشافات الاثرية، التي وجدت أن معظم القبور كانت تحوي على عظام مبعثرة ومكسرة و غير كاملة، و بالأعداد كبيرة، مما يبدو أنه ثم إدخالها في القبر دفعة واحدة.[1]

أما عن أساليب تجريد اللحم من الجثة قد تكون عن طريق الدفن المؤقت، حيث يوضع الميت ثم يغطى بكدس من الحجارة لحفظ الجثة من الحيوانات المفترسة، و بعد تجريد ذلك اللحم تنقل إلى القبر الأبدي.[2] أو قد يتم عرض الجثة في العراء للطيور الكواسر مثل النسور أو تعرض على الحيوانات آكلة اللحوم، مثل ابن أوى والضباع والأسود والفهود...الخ، ثم بعد انتهاء العملية تنقل الجثة إلى متواها الأخيرة.[3]

ثم تأتي العملية الثانية، و التي تكون بعد تجريد الجثة من اللحم، و في احتفال بهيج تنقل تلك البقايا العظمية إلى القبر الأبدي، لكن بطريقة مثيرة، حين يختار المكلف بهذه العملية و أعتقد أنه كان مختص قطع عظمية تكون مطابقة من تخطيط الهيكل

-1 A.Berthier, Op-cit.. p.408.

-2 زينب بلعابد، المرجع السابق، ص.202.

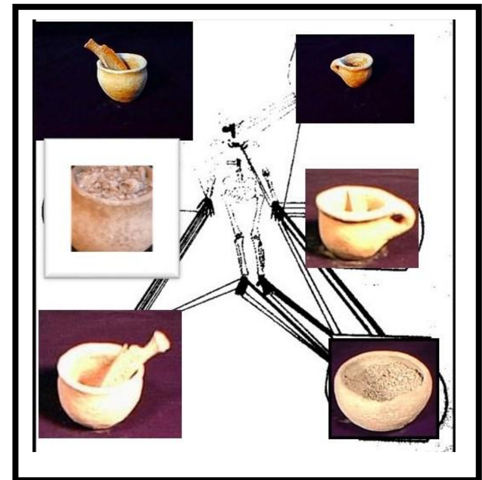
-3 G. Camps, op-cit.,p.486.

العظمي من الرأس حتى القدمين، دون أن ننسى أطراف اليدين و القدمين، حيث يختار عضو من ذلك الهيكل كرمز للعضو كله يدفن في إناء صغير الحجم من الفخار، ثم يدفن الكل داخل إناء مقلوب كأسي الشكل و يغطى بجمجمة المتوفي، ثم تكدس باقي العظام الكبيرة التي يريدون الحفاظ بها داخل القبر.[1] (أنظر الشكل رقم 2)

والملاحظ أن هذه العملية التي يقوم بها المختص في الدفن تنجز بدقة متناهية، حيث يستوجب أن يكون الهيكل العظمي كله ممدد، ويأخذ منه تلك العظام، أو أن يكون هذا المختص في الدفن على دراية كاملة بمخطط الهيكل العظمي لتشكيل آخر يستعمله المتوفي للانتقال إلى العالم الآخر. والملاحظ أن توزيع تلك العظام على الأواني الفخارية مدروس بعناية فائقة، حيث وجد بقبر البازينة الكبرى بتيديس عظام طويلة مكدسة، ثم أواني تحمل أجزاء من الهيكل العظمي داخل الغرف الجنائزية.

وكانت العظام الصغيرة الممثلة للرأس : (الأسنان، الفك السفلي والعلوي، فقرة الأولى والثانية من العنق) توضع في أواني صغيرة الحجم ثم أسفلها نجد أواني أخرى بداخلها عظام الترقوة وبعض عظام العمود الفقري والقفص الصدري، وإناء أسفل هذا الأخير يضم عظام رسخ اليد و القدم ثم السلاميات و مشط القدم، ثم كل الأواني بهذا الترتيب توضع في إناء كبير الذي يغطى بجمجمة صاحب الهيكل، و الجذير بالذكر ان الآنية كبيرة التي تضم كل أجزاء عظام الهيكل العظمي ، تخص شخص واحد صاحب الجمجمة.[2]

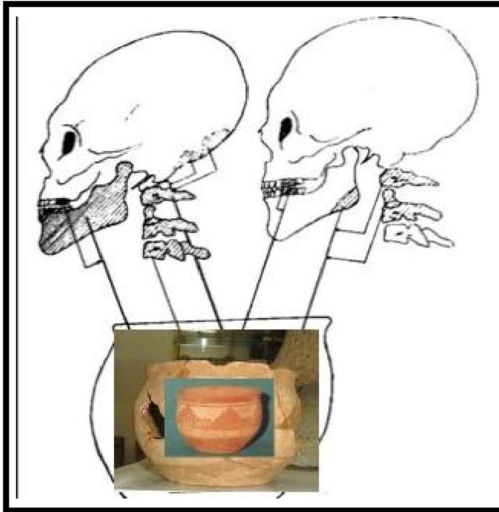
(أنظر الشكل رقم 3).



الشكل رقم 2

يمثل توزيع أعضاء لهيكل العظمي على الاواني الفخارية بتيديس

اعتمادا على : G.Camps, La céramique des sépultures…,p.196.



الشكل رقم 3

يمثل توزيع أعضاء الرأس على الاواني الفخارية بتيديس

اعتمادا على : G.Camps, La céramique des sépultures…,p.200.

-1 G.Camps,1956, La céramique des sépultures berbères de Tiddis, Libyca (Archéo-Epigra), T.IV, p 271.

-2 A. Berthier, Tiddis cite antique..., p.410.

إن ممارسة الدفن المؤقت لتجريد اللحم من الجثة، ثم نقلها في طريقة شعائرية احتفالية لمثواها الأخير، ما هي إلا تعبير عن إحدى طقوس العبور التي تحتل مكانة كبيرة في مجمع الأديان القديمة.[1] أما عن الدفن المؤقت يقول " ج. كامبس"، فانه الوقت الذي أستغرقه الميت حتى يتم تجريد لحمه، و أنه لم يترك العالم الأحياء، لكن يعيش حياة بطيئة، و مازال بحاجة إلى طعام و شراب و لهذا زود القبر بأثاث جنائزي مؤقت .[2] وأن تجريد الطبيعي لحم الجثة، ما هو إلا معبر أو ممر، وهو نوع من الألم المطول يلازم الجثة التي تتلاشى تدريجيا. أما الطقوس التي تمارس من قبل اللوبيين ما هو إلا تعجيل في انهاء الألم من خلال إطلاق روح الميت إلى عالمها الآخر.[3]

2.2–عالم الأموات والزخارف الفخارية بتيديس:

أستخرج الباحث أ. برتيي "A. Berthier من قبور البازينة بتيديس، حوالي ستين اناء فخاري يحتوي واحد وعشرين منها على زخارف، والتي وضعت بطريقتين

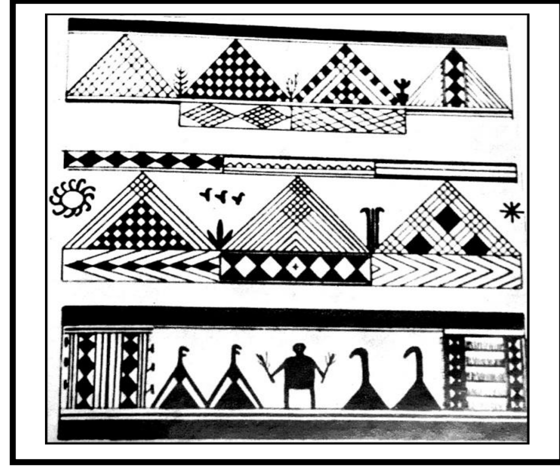
–طريقة بسيطة مشكلة من أشرطة ونقاط.

– طريقة مركبة المبنية أساسا على المثلثات وخطوط مكسورة وزخارف ثانوية، ضمت المملكة النباتية المرتكزة على النخلة أو شجيرة مشكلة من عدة تيجان، زخارف كونية لاسيما قرص الشمس بالإضافة إلى أشرطة مضافة لملء الفرغات، تضم زخارف هندسية وأخرى تصويرية مثل صورة آدمية وأخرى حيوانية.[4] إن الدارس لهذه الزخارف يستطيع أن يستخلص منها بعض الدلائل والفرضيات المتعلقة بعالم الأموات للوبيين القدماء.

بالاستناد إلى مجموعة مقدسات و العقائد التي شغلت تفكير العالم القديم، قمنا بمقارنة تلك الزخارف الفخارية مع بعض الأساطير القديمة للحضارات وهذا في غياب الأساطير الدينية اللوبية، تبين أن هذا المجتمع قد حدد العالم الأبدي أو عالم الآخر في مناطق عالية أو جبال. وقد استوحينا ذلك من تجسيده شكل المثلث الذي طغى على زخارفه، والذي دل في حضارة وادي الرافدين في الألف الرابعة ق.م، على الجبال أو الأماكن العليا.[5] (أنظر الشكل رقم 4).

-1 Ibid., p.409.
-2 G.Camps, Monuments et rites funéraires…, p.(504-505)
-3 A. Berthier, op-cit., p.408.
-4 G.Camps, La céramique des sépultures…, p.(155-203)
-5 Rene Dussaud,1935,Motifs et symboles du IV mlenaire dans la ceramique oriental, dans Syrie n° 16.p.378

أما عن صورة قرص الشمس مشع المتواجد على الأواني الفخارية فإلى جانب أنها المعبود الرئيسي وسيد الآلهة الذي يشرف على العالم العلوي والعالم السفلي، فقد كان الرمز موجه اتجاه الغرب أو نحو الظلام، الذي يعرف بالعالم الآخر، و منها فهذا العالم الأخر يقع في الغرب مثله مثل عالم الأموات في الحضارات القديمة.[1] (أنظر الشكل رقم 4)



الشكل رقم 4

يمثل صور لمجموعة زخارف على الاواني بتيديس

اعتمادا على : G.Camps, La céramique des sépultures…,p.155-203 .

لقد أظهرت الزخارف الجنائزية صورة طائر الذي يحلق في السماء أو يعبر مجالا مائيا باتجاه العالم الآخر، وأخرى رسمت شخص يحمل سعفة نخيل. لعل هذا المشهد يوحي بعبور الميت معبر مائي للوصول إلى العالم الأبدي، وهذا المعبر ما هو إلا نهر ستيكس Setyx و الذي يعرف أيضا بنهر شارون "Charon"، الذي جسد في الأساطير القديمة على هيئة شخص يحمل أرواح الموتى عبر نهر يمثل الحد الفاصل بين العالم العلوي و العالم السفلي.[2] إذن يمثل هذا المشهد انتصار الروح على الموت، خاصة وأن رمز سعفة النخيل يوحي بالتفوق والانتصار والذهاب إلى الحياة الأخرى الأبدية طالبا للخلود.[3] (أنظر الشكل رقم 5).

---

[1]-زينب بلعابد، المرجع السابق، ص.258.

[2]- هـ.ج روز،1965، الديانة اليونانية، ت.رمزي جرجس محمد سليم سالم ، دار النهضة للطباعة و النشر، القاهرة ، مصر، ص.273.

[3]-خزعل الماجدي، المرجع السابق، ث74.



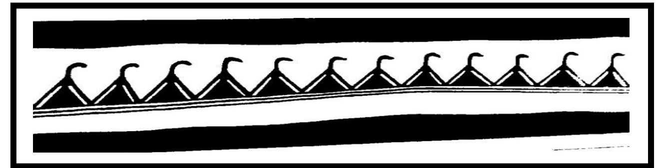
الشكل رقم 5

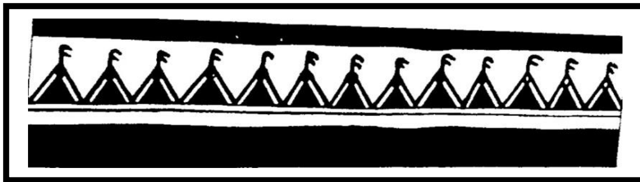
يمثل صور شخص يحمل سعفة نخيل ينتقل عبر مجرى مائي إلى حياة الأبدية

اعتمادا على : G. Camps, La céramique des sépultures…,p.155-203 .

و الملاحظ أن روح الموتى كانت تنتقل عبر هذا النهر على هيئة أسراب من الطيور الظاهر على أواني تيديس. و هذا النوع من الرموز كان مألوفا في العالم القديم، حيث زخرفت به أواني سمراء منذ الفترات التاريخية الأولى. كما يوجد احتمال آخر، قد تكون هذه الطيور، ما هي إلا كواسر التي ساعدت الميت على تجريد لحمه. (أنظر الشكل رقم 6).

وما يدل أيضا على إقامة احتفالات أثناء إعادة ذفن الميت وتحرير روحه إلى العالم الآخر، هو ذلك المشهد الذي يمثل حلقة الراقصات في موكب نسائي الظاهر على تلك الأواني الجنائزية. والملاحظ أن حلقة الرقصات تذكرنا بعادة ما زالت موجودة حتى الآن في المناطق الأكثر ارتباطا بتقاليدها المحلية في جنوب المغرب الأقصى، حيث توجد رقصة لفتيات في الاحتفالات بهذه الشاكلة، أين يمسكنا بأيدي بعضهن البعض، ولديهن الضفائر الطويلة ويتردين فساتين طويلة تصل إلى حد الكعبة.[1] (أنظر الشكل رقم 7).





الشكل رقم 7

صورة راقصات

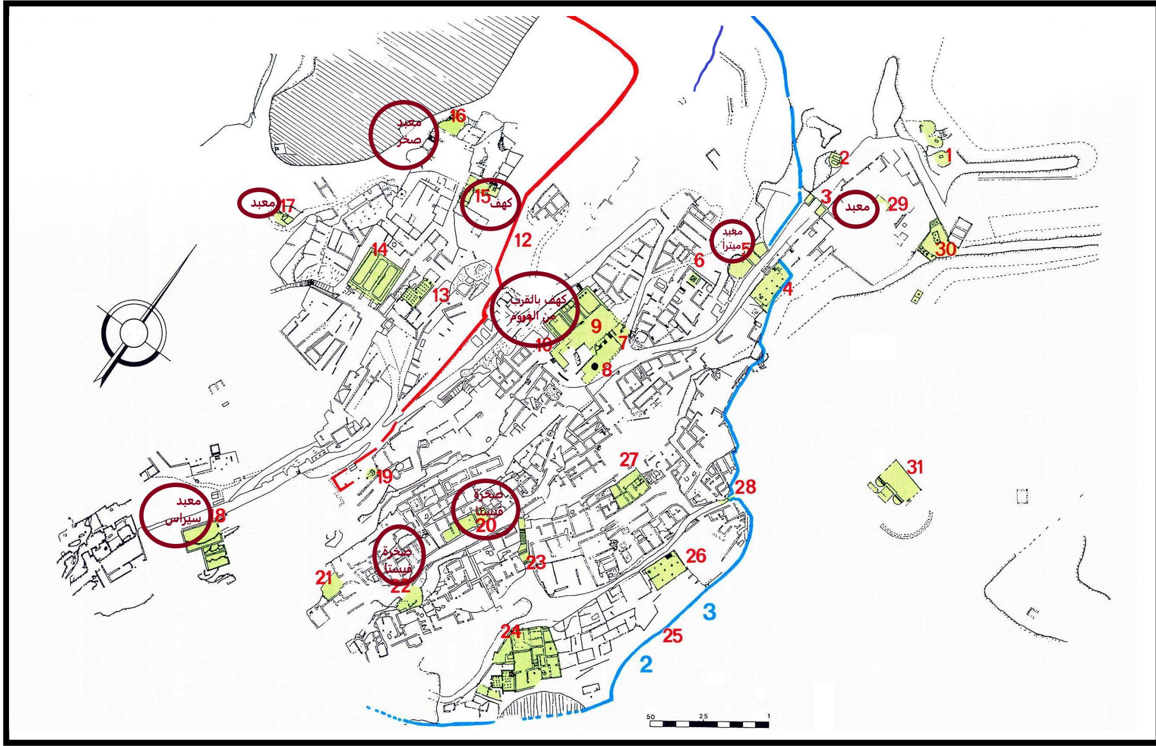
اعتمادا على: G. Camps, La céramique des sépultures…,p.155-203

3.2.الكهوف والمغارات في الفكر الديني بتيديس:

[1]- G. Camps, Op-cit., (177-178)

لقد انتشرت ظاهرة تقديس الجبال والكهوف والمغارات وكذا الأماكن العليا منذ الوهلة الأولى من التفكير الديني، ولعل سبب هذا التقديس لاعتقادهم بأرواح القوة الخفية تسكن بداخلها، كما يعتبر المكان الذي يلتقي فيه السماء بالأرض، وقد اعتبر أيضا علامة للقوة الخارقة ووسيلة لاتصال بالعالم الآخر.[1]

وما يميز مدينة تيديس عن غيرها، كثرة الكهوف والمغارات مما أضفى عليها نوع من القدسية و التي توزعت في مختلف أرجاء المدينة، فمثلا نجد في الناحية الشرقية من مدخلها تتوضع ثلاث كهوف مفتوحة مباشرة نحو الشرق، كذلك بعد عبور بوابة المدينة نجد كهف عرف فيما بعد بمعبد ميترا، في جهة المقابلة يوجد أيضا كهف عرف بمعبد " فيستا، وكهف آخر غرب خزان المياه و يبعد عنه بحوالي لحوالي 50 م ، و في الحافة الشمالية أيضا من قمة هضبة تيديس يوجد نفق صغير بفتحة أسطوانية، و هذه الكهوف و غيرها كانت كمكان للتعبد الاله أو القوة المتجسدة في الأرواح " الجن".[2](أنظر الشكل 8)



الشكل رقم 8

يمثل مخطط توزيع الكهوف بموقع تيديس

اعتمادا على : A. Berthier, Tiddis, cité antique…,p.49

---

[1]- محمد الهادي حارش،1992، التاريخ المغاربي القديم (السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي)، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، ص.148

[2]-أندري برتيي،2020 ، زيارة إلى تيديس، ت. العربي عقون، ط1، أدليس، الجزائر،ص.(21-22).

تم بعد التطور الذي حصل في الفكر الديني أطلق تلك الأرواح المرتبطة بالكهوف أسماء في بعض الأحيان مثل الاسم الذي كتب على جدران كهف " طاية" بحروف لاتينية هي " الاله باكاس" Bacax و لعله إله محلي ثم نجده قد اختصر صيغته إلى "B .A .C"، كذلك عبد في جبل طاية قوة خفية عرفت باسم " جيدادا" Giddada "، كذلك بالناحية الشرقية من مدينة قسنطينة، عثر على جدران كهف كتابة لاتينية باسم " إفري" Ifri.[1]

و لعل انتشار هذه الكهوف في مدينة تيديس تجعلنا أيضا متأكدين من احتوائها على اسم للقوة الحامية الكامنة بداخلها، و لهذا فقد تم العثور على نقش إهدائي للإلهين الأول مختصر بحرف ب باللاتينية " B لعله باكاكي أو باكاسي، Bacaci، أما الاسم المعبود الثاني فذكر كاملا و المتمثل في " يدون" Midon "، إلا ان اسم هذا المعبود يقول عنه " أندري برتيي " غير معروف في المنطقة.[2]

3. عالم الآلهة في الفكر الديني بتيديس:

إن التنقيبات الأثرية التي أجريت على مدينة تيديس ، أدت إلى اكتشاف وثائق أثرية جد مهمة و التي جعلتنا نقف عند أحد الأسباب الذي أدى إلى هذا التطور في الفكر الديني ،حيث تم العثور على بقايا أثرية تعود إلى الفترة البونية في الشرق المدينة و التي أطلق عليها بالحي البوني، و لعله تشكل من جالية بونية وصلت إلى مدينة تيديس بعدما استهواها نوع التربة الجيدة لصناعة الفخار، و بطبيعة الحال هذه الجالية جلبت معها عاداتها و طقوسها الدينية، التي انتشرت فيما بعد في أواسط المجتمع التيديسي.[3]

إلا أن الجانب الجنائزي، فقد عثر عليه في المرتفعات الشرقية للمدينة المجاور لمقبرة اللوبية المحلية، حيث اعتمد على طريقة الحرق في دفن الموتى، وهذه الظاهرة غير متأصلة في المجتمع اللوبي. كذلك تم اكتشاف تلك الرفات المحروقة داخل صندوق حجري مزود بأثاث جنائزي مشكل من قارورات زجاجية و مرآة، مقص ، مسارج و اواني فخارية أخرى.[4]

إذن إلى جانب العثور على المجال الجنائزي تم العثور أيضا على عدد من النصب بلغت حوالي 43 نصب الموزعة على المقبرة الشرقية والهضبة و حي خزان المياه، ولقد تم استخلاص منها العديد من المعلومات حول المجتمع تيديس في الفترة ما بين نهاية القرن الأول ق.م و بداية القرن الأول م، لا سيما في الناحية الدينية.[5]

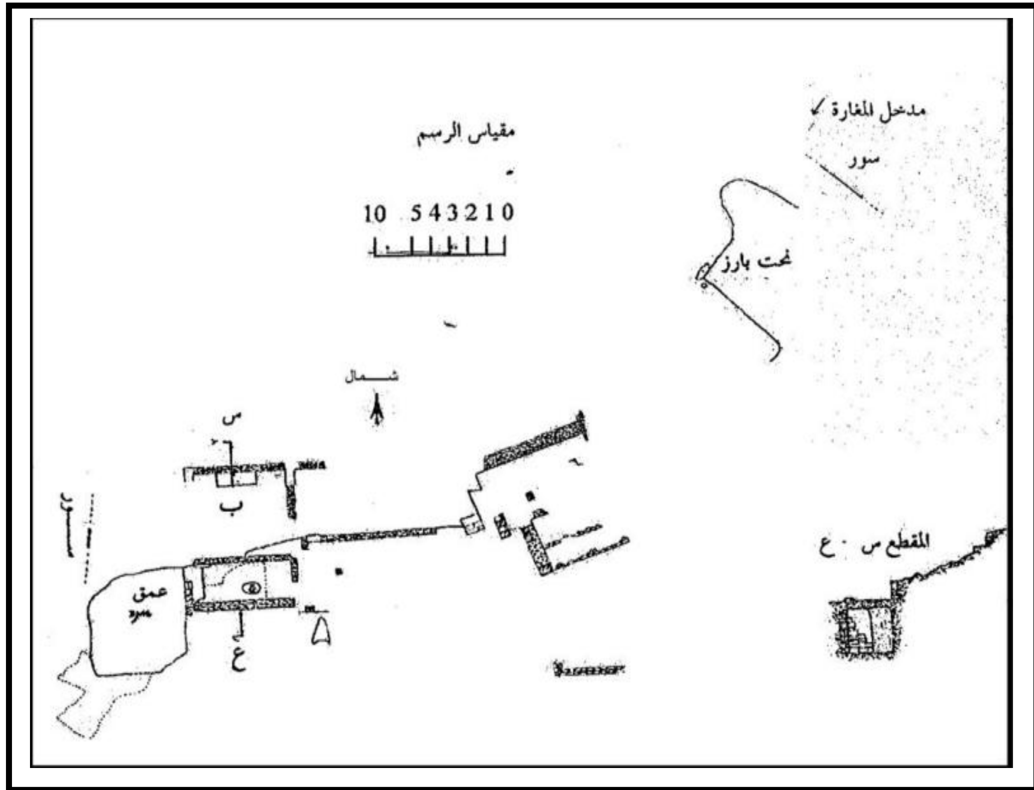
1.3. المجال المقدس:

1- A.Berthier, op-cit., p.(411-413)
2- Ibid., p.414.
3- أندري برتي، المرجع السابق، ص.13.
4- A. Berthier, op-cit., p.414.
5- A. Berthier et M. Leglay,1958, Le sanctuaire du sommet et les stèles de Baal, in Libyca, T.VI, 1°semestre,p.(23-74)

لقد خصص بمدينة تيديس إلى جانب المغارات والكهوف مكان أخر للتعبد وفق شروط معينة، حيث يكون مفتوح على السماء في مكان عال يعتبر مركز الأرض، وفتحة المرور من الأقاليم الكوني إلى الإقليم الأرضي ومن هذه الأخيرة إلى عالم السفلي.

وعلى هذا الأساس، تم اختيار قمة رأس الدار لتكون مجال هذا المقدس، الذي أطلق عليه الباحث " م.غلي "M .Leglay مصطلح " المعبد الريفي" الذي تميز بقياسات صغيرة مبني بمواد رخيصة وسهلة المنال، إما صخور أو تراب أو دبش وغيرها، ولعل هذا من بين الأسباب التي أسرعت في تهديمه.[1]

إذن يقع معبد رأس الدار بتيديس فوق قمة الجبل الذي عرف برأس الدار، بالضبط في الجهة الغربية منه، كان يتشكل من مجموعين معماريين واحد في جهة الغرب و آخر جهة الشرق، حيث يبتعد الواحد عن الأخر بحوالي 15 م.(أنظر الشكل رقم 9)



الشكل رقم 9

يمثل مخطط لمعبد رأس الدار بتيديس

اعتمادا على: A. Berthier et M. Leglay, Le sanctuaire du sommet…,p.25

-[1] M.Leglay,1961-1966, Saturne Africain, Monument, T.II, édition du centre national de recherche scientifique, Paris, p.32.

لقد حفظ المجمع الغربي على أصالة المنطقة، حيث يتشكل من كهف منحوت في الصغر ويتم الولوج إليه عن طريق مدخل يؤدي مباشرة إلى بناء تحت الأرض. و قد بنيت فوقه قاعة مستطيلة جدرانها مبنية بالدبش، و يعتقد أنها كانت مغطاة بالقرميد لكون بقاياه متناثرة في الغرفة، أما قياسها فكان حاولي 7.20 م ×3.10 م. لقد تم بناء غرفة كبيرة الحجم مقارنة مع سابقتها في الناحية الشمالية، كما زودت في الخلف بمقعد حجري منحوت في الصخر. لعله يمثل قاعدة تمثال أو مكان لوضع القرابين النذور. وقد بلغ قياس الغرفة حوالي (7.40م×7.50م)، عثر بها على بقايا تيجان كورنثية والعديد من القطع الفخارية، فالغرفة إذن ما هي إلا قدس الأقداس أو المصلى.[1](أنظر الصورة رقم 5)

أما المجمع المعماري المتواجد في الناحية الشرقية فكان مبنى بالأجر. و لا يوجد أثر للسقف مما دفع بالباحث "م.غلي" بالاعتقاد أنه مجال مفتوح على الهواء، الذي يصعد إليه عن طريق ثلاث درجات ضيقة مبلطة. كما يوجد فناء بالناحية الجنوبية مبنى و في شرق منه يظهر نحت صخري يمثل كوة بدخلها صورة شخص واقف يرتكز بيده اليسرى على عمود أو ركيزة و يحمل بيده اليمنى صحن التقديمة، و كانت تظهر تحت دراعه صورة كبش.[2] (أنظر الصورة رقم 6)



الصورة رقم 5

تمثل ما تبقى من المجال المفتوح على الهواء لمعبد تيديس

اعتمادا على: A.Berthier et M.Leglay, Le sanctuaire du sommet…,p.25



الصورة رقم 6

تمثل نحت صخري يمثل صورة شخص واقف داخل كوة

اعتمادا على: A.Berthier et M.Leglay, Le sanctuaire du sommet…,p.25

واعتمادا على النصب التي تم اكتشافها في المنطقة كما سبق و ان أشرنا، تظهر مدخل المعبد في عدة أشكال

-1 Alia Krandel Ben younes, 2002, La présence punique en pays numide, Institut national du patrimoine, Tunis, p. 429

-2 زينب بلعابد، المرجع السابق، ص.(524-525)

تطويرية، في البداية كان عبارة عن باب بسيط إما مستطيل أو بقمة مستديرة أو جبهة مثلثة، ثم تطور إلى باب محاط بأعمدة بدون تيجان، ثم إلى مدخل بجبهة ثلاثية مدعمة بعمودين بتاجين كورنثيين ، مزين بإفريز على الجبهة أين تتوضع الرموز الدينية.[1]

2.3. الآلهة التي كانت تعبد في المجال المقدس برأس الدار بتيديس:

لقد انتقل المجتمع تيديسي إلى مرحلة متطور في مجال الفكر الديني، حيث توصلوا إلى تعدد الآلهة بأسمائها و أشكالها المختلفة، و ارتباطها ببعضها، و لهذا فقد كرس لها معبدا لعبادتها بعدما كانت تعبد في الكهوف و المغارات، و لعل من أهم المعابد التي خصصت لعبادة ألهه بأسمائها هو " معبد رأس الدار" وخصص لعبادة بعل حامون و الآلهة تانيت. إلا أن هناك سؤال يطرح نفسه ألا يكون هذا المعبد ما هو إلا فرع من المعبد الكبير بعاصمة المملكة النوميدية؟

1.2.3. الإله بعل حامون:

لقد عبد إذن الإله بعل حمون الذي يعتبر سيد الآلهة، إله السماء و إله العطاء النباتي، إله الحرب و بصفته سيد الآلهة فقد كان يلقب " بالملك" و المتمعن في هذه الصفات التي يتصف بها هذا الإله نلمس بعض من التوحيد في الديانة عند اللوبيين بصفة عامة و تيديس بصفة خاصة، و ذلك عند عبادة القوة الخارقة أو الأعلى في الكون. ونجد عبادة بعل حمون، قد استجابة إلى طموحهم وجعلهم يتبنون روح العبادة وليس الإله في حد ذاته.[2]

إذا ما أردنا البحث في الجدور التاريخية لعبادة الإله بعل حامون نصل إلى قناعة أن المعبود محلي، أشتهر في المنطقة، وكان مركزه في البداية واحة سيوة في شرق ليبيا عبد تحت اسم الإله آمون، وبعد احتلال اليونان لهذه المنطقة خلال القرن السادس ق.م، أطلق عليه زيوس أمون، باسم الآلهة المصرية " أمون طيبة". وتدل الأساطير على انه لوبي الأصل وكان راعيا وانه أهدى عددا كبيرا من المواشي للإله ديونيسوس" فكافأه بان أعطاه أرضا من طيبة ورفعه إلى مرتبة الآلهة، و الحيوان المقدس لهذا الإله هو الكبش وكان معبده في واحة سيوة من أشهر المعابد في العصر الإغريقي في مصر.[3]

2.2.3. الآلهة تانيت:

---

[1]- A. Berthier et M. Leglay, op-cit., p.(23-74).

[2]-محمد الصغير غانم، 2005، الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال افريقيا، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص,(86-90)

[3]- عبد الكريم علي محمد نامو،2018، الحياة في ليبيا قديما (1100 ق.م إلى نهاية السيطرة البيزنطية)، مجلة القلعة العدد التاسع، الجزء 1، كلية الآداب و العلوم ، بمسلاتة، ليبيا، ص.338.

لقد عبدت أيضا بالمجال المقدس رأس الدار الإلهة تانيت المرتبطة برمز الهلال، وهي إلهة الخصب، وتتحكم في البدر والحصاد ويستعان بها عند الولادة وكانت لها تمثال في متحف الباردو بتونس على شكل صورة امرأة تضع ابنها على كبتها و كثيرا ما كانت تكتب تحت اسم **ر ب ت** في النقوش التي تحملها النصب النذرية في كل من قرطاجة أو مستوطناتها في غربي البحر المتوسط.[1]

إلا أننا نوافق وجهة نظر القائلة بأصل هذه الآلهة هو الإلهة نيت التي ظهر رمزها على الفخار نقادة في مصر منذ عصر ما قبل الاسرات، ثم تولى ذكرها في عصر الأسرة الأولى (3200 ق.م-2900 ق.م) و أستمر ذكرها شائعا على الآثار العصر الفرعوني، فهي أم الطبيعة و تتصف بالخصوبة، و كان المصريون يعرفونها باسم نيت اللوبية ، آلهة السهم و القوس و زعيمة الأقوام التي تعيش غربا، كما عثر على الرمز الدال عليها أو شعارها في شكل وشم على أجسام الأسرى اللوبيين عند المصريين. و قد تأثر المصريون بعبادة هذه الإلهة، لاسيما سكان دلتا التي يوجد بها الاقوام المصرية و اللوبية .[2]

كما اختلف أيضا حول اسم المعبودة تانيت منهم من يرى أنها مستمدة من كلمة نيت نفسها أم انها تختلف عن ما عبد في قرطاجة، حيث يرون أصحاب هذا الراء انها فينيقية الأصل عبدت في الشرق، ثم انتقلت إلى المغرب مع الفينيقيين. [3]

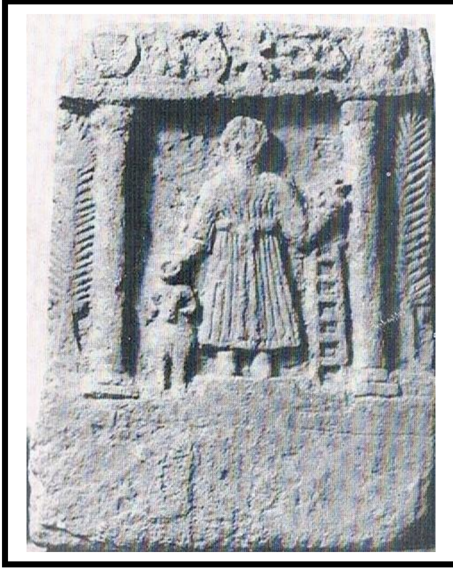
لقد جسدت لنا النصب المكتشفة بتيديس رمز الإله الشمس، المتأصلة في العقيدة اللوبية، حيث عبد هذا الإله منذ ان وعى الإنسان الدور الذي يمثله في حياته، فإنه كان إله العالمين الأحياء والأموات، ولقد أشار هيرودوت أن الليبيين كانوا يقدمون القرابين للشمس و القمر، و لا يقدمونها لأي إله آخر.[4]

3.2.3 الأضاحي والقرابين:

إن التضحية التي تقدم للإله بعل حامون ، "الخروف"، حيث يظهر قبل الذبح و بعد الذبح ، إلا انه لم يظهر أثناء الذبح. لقد وضحت النصب المكتشفة في المعبد راس الدار العديد من المشاهد لهذه الأضحية منها : كبش في المقدمة ، و قد يكون يمشي بجوار صاحب الاهداء، الذي يضع يده على رأسه ثم يسكب فوقه محتويات الصحن لتطهيره و تقديسه. و قد يظهر الكبش بين دراعي صاحب الاهداء بعد ذبحه و تقطيعه، يوضع الراس على المذبح و تسكب عليه محتويات الصحن المقدس.(أنظر الصورة رقم 7 و 8)

[1]-محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص.91.
[2]- عبد الكريم علي محمد نامو، المرجع السابق، ص.340.
[3]- نفس المرجع، ص.341.
[4]- هيرودوت ، 2001 ، تاريخ هيرودوت، ترجمة عبد الإله ملاح، المجمع الثقافي ، أو ضبي، الفقرة .188، ص.366.





الصورة رقم 7 و 8

تمثلان مختلف وضعيات أضحية الكبش

وتظهر النصب أيضا العنب، الرومان، الطيور، قطع الحلوة على شكل معين أو أقراص إلى جانب أثاث لتزيين المعبد كالأواني الفخارية المصابيح و المذابح النذرية.(أنظر الصورة التحمل رقم 9)



الصورة رقم 9

تتمثل مختلف التضحيات المقدمة للإله

كما لخصت لنا المشاهد التصويرية لتلك النصب الهيئة التي كان عليها صاحب الاضحية، إذ قد يظهر وحده بدون تضحية، و قد يكون عاريا يحمل بيده اليمنى سعفة النخيل واليسرى صولجان يرتدي تنورة، وواقف بمدخل باب فوق منضدة صخرية وكلتي اليدين مرفوعتين. [1]

أما الرمز الذي يميز نصب تيديس عن سواها وجود سلم في معظم مواضيع نصبها. و أن رمز السلم قد ظهر منذ عصر ما قبل الأسرات بمصر، و بالضبط في الحضارة السلتية و عرفه أيضا العالم الكنعاني و الذي مثل بسلم سيدنا يعقوب عليه السلام الذي يعتبر عمود السماء و وجدت أيضا صورة للسلم على قبر يعود إلى الفترة البونية في كاف البلدا بتونس.[2] قد يمثل السلم العمود الذي يربط السماء بالأرض و يرمز للصعود الروحي, و لقد أشير أيضا إلى الجبل المقدس، و أنه عمود من أركان السماء. و قد يكون الرمز محلي بسيط يعبر به الفنان على الأدراج الكثيرة التي يستعملها العابد للوصول إلى المعبد برأس الدار.[3] (أنظر الصورة 7،8،9).

4.الفكر الديني الوثني بتيديس في الفترة الرومانية:

واعتمادا على المعطيات الأثرية العائدة للفترة الرومانية، بينت أن سكان مدينة كانوا على دراية بالعبادات الرومانية، حيث زينوا أوسمة المسارج و الصحون بأساطير ميثولوجيه، تبرز الآلهة العظمى و علاقتها، و كذا الآلهة الصغرى و انصاف آلهة و الإنجازات البطولات التي قاموا بها.[4] غير أن المتمعن في الآلهة الرومانية التي عبدت بشكل واسع في المحيط التيديس يجدها ما هي إلا استمرارية للعبادات المحلية بأسماء جديدة، و من أهم الآلهة نجد:

1.4.الاله ساتورن:

لقد انتشرت عبادة الاله ساتورن " Saturne" بين أواسط المجتمع التيديسي على أنه الإله الذي لا يقهر، الحامي ضد الأخطار الخارجية، سيد الأرض و العالم الآخر، ضامن للخصوبة و وفرة انتاج الزراعي، إله الحظ للسعادة الأبدية بعد الموت، سيد العالم و الزمان، إذن فانه يمثل الصبغة الكاملة للفكر الديني الافريقي في وحدته و تعدده.

ويعتبر استمرارية لعبادة الاله بعل حمون، حيث أخد "ساتورن" جوهرة روحه واستمرت عبادته في أواسط المزارعين الذين يعبدونه من اجل رخاء حقولهم ووفرة انتاجهم.

لقد اعيد ترميم وبناء معبد المشيد في القمة، الذي كان في البداية للإله بعل حمون، ثم خصص للإله ساتورن، الذي خص هو الأخر بالأضحية المفضلة وهو الخروف، حيث يصعدون الكهنة في موكب طقوسي نحو القمة حاملين التضحية المفضلة والقرابين أخرى،

-1 A.Berthier, op-cit ;, p.414.
-2 Ibid.,p.416.
-3 Ibid., p. 418.
-4 M. Leglay, 1966,Saturne Africain, T.III, histoire, édition du centre national de recherche scientifique, Paris,p.482.

التي حفظت صورتها النصب النذرية المقدمة للإله،[1] وهذا إن دل على شيء إنها يدل على تمسك المجتمع التيديسي بالفكر الديني لعبادتهم المحلية تحت اسم جديد.(أنظر الصورة رقم 9)

والملاحظ أنه لم يتوقف الأمر إلى هذا الحد، فقد كانت من حين لأخر تتبع لأسماء الرومانية بأخرى محلية مثل " بعل حمون جوبتير" و تانيت كايستيس. وعندها أدرك الرومان أنه لم يتم رومنة الآلهة الافريقية بل أفرقة المعبودات الرومانية Africanisations على حد تعبير الباحث رحماني بلقاسم.[2]

2.4.الإلهة كايليستين:

لقد انتشرت عبادة الإلهة كايليستين" Caelestis" في وسط المجتمع التيديسي في الفترة الرومانية، حيث عبدت على أنها الإلهة الأم، السيدة القوية على الكون حمية المدينة، العذراء، رمز الخصب، وهي استمرار للمعبودة الكبرى المحلية " تانيت" و حفظت بنفس رمز الهلال، كما أظهرته النصب النذرية المهدات للإله ساتورن.[3]

3.4.الاإلهة سيراس:

لقد تميزت الإلهة سيراس "Céreres " في مدينة تيديس بالطابع الريفي الزراعي، و قد أحتلت مكانة هامة ضمن الآلهة التي تعبد في المنطقة، و تعتبر إلهة الأرض و الخصوبة، ترعى الحقول و الحصاد. ولقد عبدت هذه الإلهة في فترة المملكة النوميدية تحت اسم الإلهة ديمتر Déméter " واستمرت عبادتها تحت اسم سيرأس.[4] (أنظر الصورة رقم 10)

لقد شيد لها معبد بتيديس مشكل من عدة طوابق اين تقام فيه كهنات هذه الآلهة. كما كان يقام على شرف الإلهة أعياد واحتفالات منها السرية التي تقتصر على الكاهنات والنساء اللواتي يمارسن خلالها بعض الطقوس التي لا يعرف عنها سوى القليل. واحتفالات سنوية تقام في أوقات الحصاد تكون ما بين 10 أوت و21 سبتمبر، حيث يقام خلالها الفلاحون بالطواف حول الحقول بتيديس في شكل مواكب طالبا للحصاد الوفير، وفي نهاية الاحتفال تذبح أنثى الخنزير وهي حامل وتقدم كقربان الإلهة.[5]

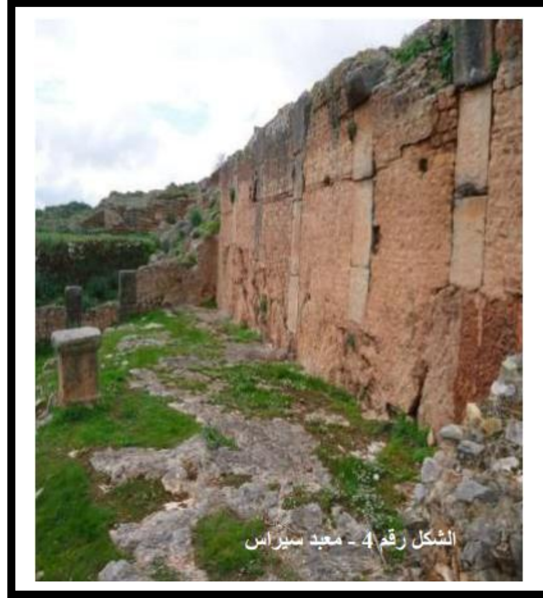
1- غنية بوغرة، 2016، المعتقدات الدينية بتيديس خلال الفترة الرومانية ، دراسات، المجلد 7، العدد 9، ص.189.

2- بلقاسم رحماني،2010، روما و سياسة الرومنة في شمال افريقيا (بلاد المغرب أنموذجا)،مجلة البحوث و الدراسات، عدد9 .142.

3- غنية بوغرة، 2019-2020، مدينة تيديس و المحيط السيرتي خلال الفترة الرومانية (دراسة اجتماعية اقتصادية)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتورة العلوم في التاريخ القديم، جامعة عبد الحميد مهري، ص.449,

4- نفس المرجع، ص.418.

5- A.Berthier,1954, Une inscription dédiée aux cereres, dans Libyca, T.II, p.(474-475).



الصورة رقم 10

تمثل معبد سيراس

4.4.الإلهة فيستا:

لقد عبدت بتيديس الإلهة فيستا " Vesta "، هذه المعبودة التي كانت تعبد في روما تحت الاعتماد المباشر للحبر الأعظم، كما أن عبادتها غير منتشرة في افريقيا، حيث لم يعثر إلا على نقيشتين فقط يذكر اسمها، الأولى في منطقة توبوربو ماجوس " Thuburbo Majus و أخرى في مداوروش.[1] و عبدت كإلهة حامية نار الموقد، لذلك فقد كانت في كل منزل روماني معبدا لهذه الآلهة، التي تظهر صورة اللهب و النار المشتعلة.

لقد شيد لها معبدا في تيديس عبارة عن مغارة طبيعية تعلوها صخرة ضخمة تحمل مذبح نذري مهدى لهذه الإلهة من طرف كهنة هذه الديانة.[2] (أنظر الصورة رقم 11) و تقوم فيئة من الكاهنات بخدمة المعبد اللواتي يعرفن باسم الفستال " Vestales " حيث كانوا يسهرون على إبقاء النار المقدسة مشتعلة، و كذا الاشراف على الأعياد الرئيسية للآلهة التي تكون بشكل علني في شهر جوان من كل سنة و تشارك فيه جميع غفير من مختلف طبقات المجتمع.[3] و كان الكهنة و الكهنات هذه الديانة ترسل من روما، حيث خصصت لهم عمارة ذات طوابق للإقامة فيها، حيث أطلق عليها " بيت المجمعي" الكبير " La grande maison collégiale".[4]

عثر أيضا بتيديس على عبادة الآلهة الأقاليم الشرقية في الإمبراطورية الرومانية، والتي لقيت قبولا في أواسط هذا المجتمع و التي وصلت إما عن طريق الموظفين أو الجنود و كذا التجار و أهمها:

-[1] A.Berthier, Tiddis cité Antique…, p.419.

-[2] Dictionnaire de la mythologie, …, p.322.

[3]-غنية بوغرة، الآلهة الرومانية بتيديس...، ص.191.

[4]- أندري برتيي، المرجع السابق، ص.78.



الصورة رقم 11

تمثل مدخل معبد فيستا

5.4. الإله ميترا:

الاله ميترا "Mithra" ، إله النور و الشمس كان معبود فارسي أدخل إلى المستعمرات الافريقية الرومانية على يد الفيلق الثالث الاغسطي بلمباز " فاليريوس ماكسيميانوس " Valirus Maximianus "، أما وجوده بتيديس فكان عن طريق قدماء الجنود الذين استقروا بها و أصبحوا من المزارعين و ملاك الأراضي و عملوا على نشر هذه الديانة في أوساط المجتمع.[1]

فقد كرس للاله ميترا العديد من المعابد، لكن أهمها تلك المغارة الطبيعية المقابلة لمعبد كيبيلي و التي أجريت عليها بعض التحويلات الداخلية، حيث تعلوها مغارة صغيرة، يتم الصعود إليها عبر سلم حجري، استخدمت كإسطبل لوضع الحيوانات المقدمة كقرابين للإله المشار إليه سابقا. وقد كان يقدم لهذا الإله العديد من أنواع الأضاحي شملت رؤوس خراف وثيران والعديد من الديوك.[2] (أنظر الصورة رقم 12)



-[1] M. Brillant et R. Aigrain ,1962, Histoire des religion, paris, p.(320-321)

-[2] أندري برتيي، المرجع السابق، ص.33.

الصورة رقم12

تمثل معبد ميترا

6.4. الإلهة كيبيلي (سيبيل):

لقد عثر على أثار للديانة الإلهة " كيبيلي " Cybelle " بتيديس، و هي من أصول آسيا الصغرى، دخيلة على الديانة الرومانية حيث لم تعتنق إلا خلال القرن الثالث ق.م من قبل الطبقة الأرستقراطية. ودخول هذه الآلهة إلى تيديس كان متزامنا مع دخول عبادة الإله مترا، حيث عثر على معبد للإلهة كيبيلي مقابلا للاله ميترا. وكانت تقام لها احتفالات شعبية في شهر مارس من كل سنة ،و ذلك باعتبارها إلهة الخصوبة و الأمومة. وكانت لهذه الاله أيضا احتفالات سرية تعتمد على التضحية بالثور والاغتسال بدمه ثم تناول الوجبة المقدسة التي تتألف من الخبز والنبيذ. وكانت تتشابه مع الإلهة كايلستيس.[1]

7.4.عبادة الأباطرة:

انتهجت السياسة الرومانية فكرة جمع سلطة الإمبراطور السياسية والسلطة الروحية، فجعلت منه الكاهن الأعظم المؤله وهذا حتى تتمكن من تسهيل عملية التحكم في المنطقة المستعمرة. وكان مجلس الشيوخ الروماني باعتباره قوة روما الأبدية بتكريم الأباطرة بعد موتهم و ضمهم إلى صفوف الآلهة، و بهذا كانت تتجسد عبادة الإمبراطور الذي يعتبر رمزا لروما، و من يتعدى عليه فقد يتعدى على روما نفسها. ولتحقيق هذه العبادة إنشات السلطة الرومانية جهازا رسميا يقوم عليه كبير الكهنة، مهمته الاشراف على الديانة ومختلف شعائرها التي تتمثل في إقامة الاحتفالات والمآدب والمهرجانات.[2]

ويتكون هذا الجهاز من أعضاء مجلس الأعيان" Ordo décurionum "، الذين بلغوا قمة المناصب البلدية وارتقوا إلى منصب الكاهن مدى الحياة، ويصبحون أعضاء في جامعة الكهنة الذين يتمتعون بحق إقامة الصلوات وتقديم القرابين والنذور باسم المواطنين للزوجين الإمبراطوريين المؤلهين.[3]

إذن عكست هذه العبادة الرومانية، أن سكان تيديس قد عبدوا جوهر العقيدة التي احتفظت بخصائصها المحلية والتي عبرت عنها الطقوس والاشكال وحتى العبارات المستخدمة في الاهداءات الدينية اللاتينية، هي نفسها الصيغ التقليدية المعترف عنها منذ القدم.

---

[1]- M.Leglay,1954, La religion romaine, Paris, p.177.

[2]- بلقاسم رحماني، المرجع السابق، ص.144.

[3]- هشام الصفدي،1977، تاريخ الرومان، القاهرة ، ص.200.

الخاتمة:

خلاصة القول، أن المجتمع التيديسي شغل تفكره الجانب الديني منذ استقراره في المنطقة العائد لفجر التاريخ، كما بينه الجانب الجنائزي في اعتماده على القبور الميغاليثة التي خصت بطقوس و اعتقادات جنائزية، تأكد على إيمانه الراسخ بالعالم الآخر، أو العالم الأبدي، الذي افترضنا بالاعتماد على الزخارف الفخارية المكتشفة بالبازينة بتيدس، انه يوجد في الناحية الغربية في مكان عال يشبه الجبل تنتقل إليه روح المتوفي ماسكا سعفة النخيل، رمز الانتصار و الترحيب عبر نهر مائي.

تمسك الفرد التيديسي أيضا بعبادة جوهر العقيدة والحفاظ على خصائصها تحت أسماء جديدة لتأثره بحضارات دخيلة، لا سيما البونية و الرومانية، و لعل هذا نابع من تمسكه بعاداته و تقاليده رغم مرور الزمن للحفاظ على الهوية المحلية أمام مختلف التأثيرات الحضارية. و كانت لهذه الآلهة العديد من أماكن العبادة التي تميزت بالكهوف و المغارات، حيث قام المجتمع في كثير من المرات بالإضافة إليها بعض التقنيات المعمارية لتكون صالحة لذلك الغرض ، تجد معبد رأس الدار بالقمة ، نجد معبر سيراس و معبد مترا قريب من مدخل المدينة ، كما نجد معبد الالهة فيستا و معبد الالهة كيبيلي (سيبيل) و بهذا أطلق عليها بلد الاقداس لما تحويه من أماكن قدسية.